إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا، أمابعد:

فقد جعل الله في أيام دهره نفحات، وجعل في الأزمان مواسم للخيرات؛ فضلاً منه ليتدارك المقصّرون، ويتسابق المتسابقون.

وإن حج بيت الله هو الركن الخامس من أركان الإسلام الخمس على كل مسلم مكلّف مستطيع كما قال تعالى: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا". {آل عمران: ٩٧}

ومن فضائل الحج قول النبيﷺ: "الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" {مسلم}، وقول الرسولﷺ: "من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه". {متفق عليه، والرّفث الجماع ومقدماته الفعلية والقولية}

وقد اختص الله هذه الفريضة بأن جعل أيام أدائها خير أيام السنة كما قال رسول اللهﷺ: "ما من أيام العمل الصالح فيهنّ أحبّ إلى الله من هذه الأيام العشر فقالوا: يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء". {رواه البخاري}

قال الشيخ محمد بن عثيمين: "هذا الحديث عام في أن جميع الأعمال الصالحة في هذه العشر محبوبة إلى الله عز وجل، وأفضل من العمل في غيرها، وهو شامل لجميع الأعمال؛ من صلاة وصدقة وقراءة وذكر وصيام وغيرها". {شرح ابن عثيمين لصحيح البخاري}

ثم اختصّ الله يوم عرفة، وهو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة من بين هذه الأيام العشر بفضائل عديدة منها:

١. جعل الشرع الوقوف يوم عرفة ركن الحج الأعظم كما قال الرسولﷺ: "الحج عرفة". {رواه أبوداود، وصحّحه الألباني}

٢. إنّ يوم عرفة يعدّ خير أيام السنة كما يتضح من الحديث السابق: "ما من أيام العمل الصالح فيهنّ أحبّ إلى الله من هذه الأيام العشر"، وفيها يوم عرفة، وقد أقسم الله بهذه الأيام العشر في كتابه الكريم ولايقسم سبحانه إلا بعظيم فقال الله تعالى: "والفجر وليال عشر"، قال ابن عباس: الليالي العشر التي أقسم الله بها هي ليالي العشر الأول من ذي الحجة كذا قال عبدالله بن الزبير ومجاهد ومسروق وعكرمة وقتادة ورجّحه الطبري ونقل الإجماع". {تفسير الطبري}

٣. وقد أقسم الله بيوم عرفة في قوله وشاهد ومشهود، وقد قال النبيﷺ: "اليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة" {رواه الترمذي، وحسّنه الألباني}، وفسّره بذلك علي وأبوهريرة وابن عباس، فعلى هذا يوم عرفة يوم مشهود لأن الملائكة تشهده، وتنزل فيه بالرحمة". {تفسير القرطبي}

٤. في يوم عرفة أكمل الله الدين وأتم به النعمة حين أنزل الله على نبيه الكريم قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً"{المائدة: ٣}، وفي الحديث عن عمر بن الخطاب أن رجلًا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال :أي آية؟ قال :اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبيﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة". {متفق عليه}، وقال ابن كثير: "الصواب الذي لاشك فيه ولامرية أنها نزلت يوم عرفة"، وقال أيضا: "هذه أكبر نعم الله لهذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلايحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله خاتم الأنبياء". {تفسير ابن كثير} فالحاج يتذكر عند وقوفه يوم عرفة نعمة الله بتمام هذا الدين وإكماله ويحرص على الوقوف على شرائع الله والالتزام بها.

٥. إن يوم عرفة من أكثر الأيام التي يعتق فيها الرقاب من النار فعن عائشةرضي الله عنها قالت قال الرسولﷺ: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء؟". {رواه مسلم}

فيوم عرفة أكثر أيام السنة عتقاً من النار، وعلى المسلم أن يحرص على الإقبال على الله في هذا اليوم العظيم، وأن يلجأ إليه بالدعاء بأن يكتبه في تلك العشيّة من يوم عرفة من عتقائه من النار الذين لايحصيهم إلا الله عز وجل.

٦. دنو الله عز وجل من عباده كما في الحديث السابق الذكر، وفيه: "وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء؟". {رواه مسلم}

فالله في هذا اليوم العظيم ينزل الى السماء الدنيا يدنو من عباده في عرفات دنوّاً يليق بجلاله وعظمته وكماله من غير تحريف ولا تكييف ولاتمثيل ولاتعطيل، وهذا النزول والقرب من أهل عرفة هو من رحمة الله حيث يترتب عليه كثير من الخيرات والبركات وتنزّل الرحمات.

ولذا قالوا: في عشيّة عرفة ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ويباهي بالحجيج في عرفات الملائكة ويغفر الله لعموم المسلمين إلا من كان مشركا فمن أقبل على الله في هذا اليوم الشريف أقبل الله عليه، ومن نادى وناجى الله في هذا اليوم العظيم لبّاه الله وأجابة فالله لايرد قاصدا ولايحرم طالبا منيباً مخبتاً.

٧. أن صيامه يكفّر سنتين.

ولذا يستحب صيام هذا اليوم العظيم صيام يوم عرفة لغير الحاج؛ حيث قال الرسولﷺ: "صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله والسنة التي بعده". {رواه مسلم}

ويستحب الدعاء والابتهال الى الله في هذا اليوم العظيم، وجاء في الحديث قال الرسولﷺ: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير". {رواه الترمذي، وصححه الألباني}

قال ابن عبدالبر: "في هذا الحديث من الفقه أن الدعاء يوم عرفة أفضل من غيره.. وفي الحديث دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب كلّه في الأغلب". {التمهيد لابن عبدالبر}

وعلى المسلم أن يحرص على الأدعية المأثورة عن النبيﷺ في صحيح السنة لاسيما وأن النبيﷺ قد أوتي جوامع الكلم.

ومن الآداب في هذا الموقف ما ذكره الشيخ محمد بن عثيمين حيث قال: "الأدعية الواردة في يوم عرفة منها ذكر الله عز وجل كما قال النبيﷺ خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لاإله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وهو على كل شيء قدير، وفيه أدعية أخرى يمكن الرجوع إليها في كتب الحديث وأهل الفقه، ولكن المهم أن يكون الإنسان حين الدعاء والذكر حاضر القلب مستحضراً عجزه وفقره إلى الله تبارك وتعالى محسن الظن بالله، فإن الله تعالى يقول وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان، وينبغي أن يكون في حال دعائه مستقبلا القبلة ولو كان الجبل خلف ظهره، وأن يكون رافعاً يديه، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه وقف عند الصخرات، وقال: وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف، ولاينبغي للإنسان أن يكلف نفسه في الذهاب إلى الموقف الذي وقف فيه الرسولﷺ مع شدة الحر وبعد المسافة واختلاف الأماكن وربما يلحقه العطش والتعب وربما يضيع عن مكانه فيكون في ذلك عليه ضرر؛ فالنبيﷺ قد قال عرفة كلها موقف، وكأنهﷺ يشير بهذا القول إلى أنه ينبغي للإنسان أن يقف في مكانه إذا كان يحصل عليه تعب ومشقة في الذهاب إلى الموقف الذي وقف فيه النبيﷺ". {فتاوى ابن عثيمين}

وإن حال السلف الصالح لايخفى علينا في حرصهم واهتمامهم بهذه الأيام والأزمان الفاضلة.

نسأل الله أن يتقبل من الحجاج حجهم، وأن يجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا، وأن يتقبل صيامنا وصالح أعمالنا، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.